



-1-

يوشك الستار أن يُسدَّل على واحدة من أعظم ملاحم الثورة السورية وعلى أكثر مأساتها طولاً وكآبة، المأساة التي صنعتها أيدي قوم منا قبل أن تصنعها أيادي الخصوم والأعداء.

ليست هذه المقالة لاستهانة الهم، فقد ماتت هم المستنهضين منذ الزمن الأول فلم يعد لنا فيهم رجاء.

ماتت منذ اليوم الذي ضرب فيه العدو على حمص الحصار فلم يُبالي بحصار الأخ أخوه ولا بجوع الجار سائر الجيران، ثم شُبعت موتاً حينما كانت الكتابات تنہال كالمطر داعيةً ومحفزةً، وسائلةً بالله من ينبغي عليه إذا سُئل واستنصر بالله أن ينصر ويعين.

قد تصمد حمص إلى الغد أو إلى غَدَة الغد، وقد تصمد أيامًا آخر، مهما يكن ما بقي لها من أيام في عالم الصمود فقد قُضي الأمر ولم يعد لنا منأمل إلا بخروج أسود الحصار من قلب الحصار آمنين، فلن أكتب ولن يكتب غيري اليوم للاستجاد بمَنْ ما زلنا نستجد بهم عبثاً منذ دهر، فإن الاستغاثة بالموتى لا تجوز، بل أكتب (وأرجو أن يكتب غيري) لكشف الجُناة الحقيقيين الذين ضيّعوا حمص.

لماذا؟ لأننا تعلمنا من تجربة مُرّة طولُها نصفُ قرن أن السكوت عن المجرمين هو أول طريق طويل معبّد بالشوك محفوف بالدموع والآلام، وأننا نخشى أن لا تكون حمص آخر الكوارث، فإن الأيدي الخفية التي لعبت بها توشك أن تلعب بغيرها،

ولأن النسبة الضارة لا تقتلن نفسها من الأرض بنفسها، فلا بد أن يقتلها الأحرارُ ولو شاكتهم وأدْمَتْهم الأشواك.

-2-

لقد تهافت حمص بسرعة منذ أن فتح النظام تلك الثغرة التي خرج منها المئات من الناشطين والمجاهدين وغيرهم من المدنيين العاجزين، ولربما وجد المجرمون الحقيقيون ضالتهم في أولئك الضحايا المساكين الذين سُيُدَّبون مرتين، مرة بسكنِ النظام ومرة بسكنِ الجنة الذين أوصلوا حمص إلى الاستسلام والانهيار.

إنَّ مَنْ يَحْمِلُ أولئك الضعفاء المساكين مسؤولية سقوط حمص (إذا فعل ذلك أحد) ليس أقل سوءاً من داعش التي سرقت مدنًا كاملة واستولت بغير حق على المصانع والصوامع وحقول النفط والغاز ثم قطعت يدَ شابٍ في رغيف خبز! كم بيننا من الدواعش في ثياب الثوار!

لا، دعوا عنكم ملامة الضعفة الذين أجأتموه إلى الخيار المُرّ، ولو لآنَّ فيهم خيراً يفوق ما عند غيرهم بألف مرة لما بقوا في الحصار كل هذا الوقت الطويل ولا ثروا الهروب والاستسلام منذ زمن، وإن فيهم مَنْ دخل إلى جوف الحصار برجليه لأنَّه أراد صارقاً مخلصاً أن يجاهد في سبيل الله وأن يحمي حمص من الضياع.

ولكنْ مَاذا تفعل قلةٌ من الناس حُصِّرت في الرقعة الصغيرة من الأرض سنتين بلا مُعِينٍ وبُحَثَّ أصواتها وهي تستغيث ولا مُغيث؟

-3-

حمص لم تمت حتفَ أنفها، بل قُتلت قتلاً متعمداً بدم بارد وتصميم وإصرار، ومن حق السوريين الأحرار اليوم ومن حق أبنائهم غداً أن يعرفوا الجنة الحقيقيين، ومن العار -ونحن ندعوا إلى العدالة والقصاص من المجرمين الذين أجرموا بحق الثورة- أن تتغاضى عن بعض أسوأ المجرمين الذين كانوا سبباً مباشرأً في خسارة عاصمة الثورة.

لقد عانت حمص من حصار النظام وحالش من الغرب والجنوب، وأكملت داعش الحصار من الشرق، فأعاقت وصول النجدة ودمرت أرتال الدعم القادمة من الباادية، على النحو الذي صار معروفاً مكشوفاً لكل السوريين مؤخراً.

ولكن هذه القوى الثلاث هي العدو الحقيقي للذود للسوريين، فلا حاجة لأن يتعب أحدٌ نفسه بهجائها، وهي عما قريب جِيفٌ نافقة إن شاء الله، فبأي شيء يُفيضنا سلحان الجيف النافقة؟

نريد أن نعرف الأعداء المستترین الذين ظنناهم متنَا فمن هنا ظهرنا وخدانوا وباعونا وكانوا هم السبب الأكبر للكارثة.

إذا كان النظام قد أحكم الحصار على حمص -بمساعدة حليفه حالش داعش- من الشرق والغرب والجنوب، فماذا عن الشمال؟

نشر بعض ناشطي حمص المعروفين بصدقهم وحيادهم منذ وقت قريب معلومات تؤكد خيانة أحد أكبر قادة الكتائب في الريف الشمالي، وقالوا إنهم يملكون الوثائق والبراهين على صحة ودقة ما اتهموه به.

إذا كان ما قالوه عن الرجل صحيحاً (والمرء يكاد يجزم بصحته من مجرد متابعة تفاصيل قصة حمص في السنتين الماضيتين) إذا كان كذلك فينبغي أن يحاكم بتهمة الخيانة العظمى وبيع حمص وسرقة أموال الثورة.

-4-

لم تكن ثورتنا ثورة على سفاح سوريا ولا على نظام القمع والاحتلال فحسب، بل هي ثورة عامة شاملة على كل ظلم وفساد، وإن ملايين السوريين الأحرار لم ينتظروا إذناً ولا تلقوا إرشادات من أحد ليقوموا بثورتهم، فقد سبقوا بها العلماء والمفكرين

والسلطة المُخَضِّرَمِينَ والعُسْكَرِيِّينَ الْمُحَترِفِينَ، وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَسْبِقُوا الْجَمِيعَ الْيَوْمَ فِي مَيْدَانِ الْعَدْلَةِ وَالْقَضَاءِ وَمَحَاسِبَةِ الْمُجْرَمِينَ وَإِسْقَاطَ الْأَقْنَعَةِ عَنِ الْخُونَةِ وَالْمَنَافِقِينَ.

لَا يَنْبَغِي لِهَذِهِ الْكَارَثَةِ أَنْ تَمُرَ بِصَمْتٍ. إِنِّي أَقْتَرُحُ أَنْ تَتَعَاونَ طَائِفَةً مِنْ نَاسِطِي حَمْصَ وَإِعْلَامِيهَا الْمُشَهُودُ لَهُمْ بِالنَّزَاهَةِ وَالصَّدْقِ وَالْحَيَادِ، الَّذِينَ لَا يُحْسِبُونَ عَلَى أَيِّ فَرِيقٍ مِنَ الْفَرَقِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي تَشَتَّتَ وَتَفَتَّ بَيْنَهَا قَرْأُ حَمْصَ وَضَاعَتْ بِسَبَبِ تَفَرِّقِهَا وَتَشْرِذِمِهَا وَخَلَافَاتِهَا مَدِينَةُ حَمْصَ، أَقْتَرُحُ أَنْ يَتَعَاونُوا عَلَى إِنشَاءِ صَفَحَةٍ مُفْتَوِحةٍ تَتَخَذُ عَنْوَانَ هَذِهِ الْمَقَالَةِ اسْمًاً لَهَا، وَأَنْ تَحَاكُمْ فِيهَا كُلُّ الْمُتَّهَمِينَ بِتَضْيِيقِ حَمْصَ مَحاكِمَةً عَلَيْهِ، لَهُمْ فِيهَا حَقُّ الدِّفاعِ عَنِ النَّفْسِ وَاستَشْهَادُ مَنْ شَاؤُوا مِنَ الشَّهُودِ، وَسَوْفَ يَكُونُ الْأَحْرَارُ الْعَقَلَاءُ مِنْ أَهْلِ حَمْصَ وَمِنْ عَامَّةِ السُّورَيِّينَ هُمُ الْقَضَاةُ وَهُمُ الْمَحَلَّفِينَ.

لَيْسَ مَا نَرِيدُهُ مُزِيدًا مِنَ الْمَهَاتِرَاتِ وَالْإِتَّهَامَاتِ وَتَصْنِيفِيَّةِ الْحَسَابَاتِ الَّتِي تَمْتَلَئُ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ الصَّفَحَاتِ وَالَّتِي صَارَتْ مِنَ الْأَنْشِطَةِ الْمُفْضِلَةِ لِكَثِيرٍ مِنَ السُّورَيِّينَ مُؤْخَرًا، إِنَّمَا نَرِيدُ مِنْ هَذِهِ الْمَحْكَمَةِ أَنْ تَكْشِفَ الْخُونَةَ وَالْمَقْصَرِيِّينَ بِالْبَيِّنَةِ وَالْدَّلِيلِ. وَلَا يَلْزَمُنَا أَنْ تُصْدِرَ أَحْكَامًا عَلَى الْمُتَّهَمِينَ؛ يَكْفِنَا أَنْ تُتَبَّتِّبَ الْجَرِيمَةُ وَتُتَبَّتِّبَ النَّهَمُ وَأَنْ تَبْرُئَ الْأَبْرِيَاءُ وَتَدِينَ الْمُجْرَمِينَ، وَسَوْفَ يَأْتِي يَوْمٌ – بَعِيدٌ أَوْ قَرِيبٌ – تَوْضَعُ فِيهِ نَتَائِجُ الْمَحَاكِمَةِ بَيْنَ يَدِي الْقَضَاءِ السُّورِيِّ الْمُسْتَقْلِ فِي سُورِيَا الْحَرَةِ، يَوْمٌ ذُيْقَضِي بَيْنَ الْخَصُومِ.

[الزلزال السوري](#)

المصادر: